أسس المواطنة في الشريعة الإسلامية

إعداد

د/سعد المغازي عبدالمعطي محمود[1]

الملخص:

تعد قضية المواطنة من القضايا الطارئة على الساحة، وكثر حولها الجدل والنقاش، فهل هي قضية وافدة علينا من الغرب الأوروبي؟ أم أنها قضية قديمة عرفها الفقه الإسلامي، ومقننة في كتب الفقه الموروث؟، والجديد فيها هو مسماها فقط(المواطنة)؟

والحقيقة أن قضية المواطنة نابعة من صميم الدين الإسلامي، من عقيدته وأصوله، وأخلاقه، ومن أهم أسسها أن يكرم الإنسان فلا يهان.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية الدراسة في طبيعتها، فهي ذات أبعاد سياسية وأمنية، تعبر عن مدى الانتماء، ووعي الإنسان بحقوقه وواجباته، وحرصه على مصالح وطنه.

إشكالية البحث: تأصيل فكرة المواطنة من الوجهة الشرعية، تأصيلا ينبع من الأصول الإسلامية، وتأصيلها من خلال الواقع وما كان فيه من أحداث جرت في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وهل يختلف مفهوم المواطنة في الفكر الإسلامي عن مفهومها الحديث؟ أم أن الأسس واحدة؟

أهداف البحث: دراسة مفهوم المواطنة في جانبيها القديم الموروث والحديث الطاريء.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي: فالمنهج الاستقرائي يتمثل في تتبع النصوص التي تتعلق بالموضوع محل الدراسة، وتحليلها لاستنباط الأسس لفكرة المواطنة، وتوصلت من خلال هذا البحث لمجموعة من النتائج، ومن النتائج التي توصلت إليها، أن السماحة الإسلامية مع الآخر المغاير في الدين، قل أن تجد لها نظيرا في المجتمعات والشرائع الأخرى، وأن قيمة الإنسان تستمد من إنسانيته بغض النظر عن انتمائه الديني، أو شكله، وأن المواطنة طُبِقَت في تاريخنا الإسلامي وعلى أرض الواقع قبل أن تدرك الأمم الأخرى ماهيتها.

---

[1] Pensyarah Jabatan Syariah, Fakulti Syariah, Universiti Islam Pahang Sultan Ahmad Shah (UnIPSAS).
Diterima; 5 Oktober 2023. Disemak; 26 Oktober 2023. Diterbitkan; 30 November 2023.

Foundations of citizenship in Islamic law

The issue of citizenship is currently at the forefront of discussions, sparking debates about its origin and relevance in Islamic jurisprudence. Is it an imported concept from Western Europe, or is it an ancient idea recognized by Islamic jurisprudence and codified in inherited legal texts? The study argues that the concept of citizenship is intrinsic to Islamic beliefs, principles, and ethics, emphasizing the honor and dignity of individuals. The novelty lies only in the terminology, namely "citizenship".

Importance of the Topic:

The significance of this study lies in its political and security dimensions, reflecting the extent of individuals' commitment, awareness of their rights and duties, and their concern for the interests of their nation.

Research Problem:

The research aims to establish the concept of citizenship from a religious perspective, rooted in Islamic principles, and to explore its application in historical events during the Prophet's era and the rightly guided caliphates. Does the Islamic understanding of citizenship differ from the modern concept, or are the foundational principles the same?

Research Objectives:

The research aims to study the concept of citizenship, both in its traditional heritage and its contemporary relevance

Research Methodology:

The study employs an inductive analytical approach, tracing relevant texts and analyzing them to derive the foundational ideas of citizenship. The research concludes that Islamic tolerance towards those of different faiths is unmatched, and the value of an individual is derived from their humanity, regardless of religious affiliation or appearance. Citizenship, as a concept, was applied in Islamic history and on the ground before other nations recognized its essence.

التمهيد:

يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم التي كثر تداولها في العصر الحاضر، فما مفهومه في عالمنا الإسلامي؟ وهل يختلف في مضمونه عن الفكر الغربي؟

مفهوم المواطنة: تعني الانتماء إلى أمة ووطن، وهذا الانتماء يعني أن من ينتمي لهذا الوطن يتمتع بحقوق، كما أن عليه واجبات(المطلق)، 2011م، ص13).

ويعد الشيخ رفاعة الطهطاوي(1801 – 1873م) أول من وظف هذا المصطلح بما يحمله من مضامين فكرية وسياسية؛ نظرًا لاحتكاكه بالحضارة الغربية بعد ابتعاثه إمامًا للطلاب المصريين في فرنسا في القرن التاسع عشر،(قنصوة)، 2008م،ص182).

ولقد أصل القرآن الكريم للمواطنة، فقال سبحانه وتعالى:"﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(الممتحنة ٨).

وأي منصف دارس للقرآن الكريم والسنة النبوية لا يجد أي عنت في إدراك قيمة الإنسان في الإسلام، وأنها قيمة مركزية يحتلها الإنسان، وأن الناس على اختلاف ألوانهم ومللهم ومواقعهم ينحدرون من أساسٍ واحد، وكل إنسان له كرامته.

وفي السنة النبوية، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قال: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»(الطبراني:الكبير)باب العين).

و في حديث آخر قال: "ألا مَن ظَلم مُعاهِداً أو انتقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئاً بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجيجُهُ يوم القيامةِ" (سنن أبي داود) 1430 هـ ،كِتَاب الْخَرَاجِ).

والأمثلة كثيرة في تاريخ الخلفاء الراشدين على تأكيد هذا المفهوم، فهو مفهوم لم يكن غريبا على تراثنا الإسلامي ولا ثقافتنا، فنحن كمسلمين رواده، وأول من طبقه، ورسخ مفاهيمه ومضامينه.

فقضية المواطنة ليست قضية تتعلق بالجانب الإنساني فحسب، وإنما هي في الحقيقة مستمدة من الدين في المقام الأول، مستمدة من أصول الشريعة، ومستندة إلى العقيدة الإسلامية، ومؤيدة بأخلاق الدين الإسلامي وقيمه ومثله الرفيعة.

فالمواطنة في مفهوم الإسلام تعني أن يكرم الإنسان فلا يذل أو يهان، وهذا ما أكده القرآن الكريم، قال تعالى:" ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء ٧٠).

هذا التكريم لكل إنسان، فالناس كلهم من منبتٍ واحد، لا يضرهم أي اختلاف، بل إن الاختلاف في الإسلام سبيل للتقارب والتعارف والتعاون، قال عز وجل مبينا هذه الحقيقة:" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات ١٣).

والمواطنة التي حث عليها الإسلام ليست مفاهيم نظرية، وكلمات مدونة، ومباديء ليس من السهل تنزيلها على أرض الواقع، بل هي حقيقة واقعية طُبِقَت على أرض الإسلام، وعاشها من استظل بظلاله الوارفة، فالمواطنة ليست حقًا للإنسان له أن يتنازل عنه، أو تُعْطَى له، وإنما هي في المنظور الإسلامي واجبات عليه أن يتحملها ويلتزم بها.

فإذا ما أدى الإنسان ما عليه من واجبات ومنها حق المواطنة، فإنه بذلك يكون قد حصل ما له من حقوق قررها الشرع الحكيم، فالترابط واضح بين الحق والواجب، فما هو حق لإنسان، فهو في نفس الوقت واجب على إنسانٍ آخر.

والمواطنة علاقة تبادلية بين الفرد والوطن الذي يعيش فيه، فالمواطنة منظومة من الحقوق والواجبات المتبادلة، ولكي تكون علاقة حقيقية فينبغي أن تكون قائمة على أسسٍ قوية، وفي الإسلام ينطلق مبدأ المواطنة من تشريعاته، ويرتبط ارتباطا وثيقا بقيمه وآدابه وأخلاقه، ولذا فإنها علاقة تتميز بالاستمرارية والثبات، ولها منزلتها السامية، فالمواطنة لا توهب ولا تمنح.

أسس المواطنة في الإسلام:

الأساس الأول–وحدة الإنسانية: فالكل في نظر الإسلام سواء، لا فضل لأحد على الآخر، يقول الإمام الشوكاني وهو بصدد تفسيره للآية الكريمة":"﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ) هما آدم وحوّاء ، والمقصود أنهم متساوون؛ لاتصالهم بنسب واحد، وكونه يجمعهم أب واحد وأمّ واحدة، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب ، وقيل المعنى : أن كل واحد منكم من أب وأمّ ، فالكل سواء... والفائدة في التعارف أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبه، ولا يعتري إلى غيره. والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك؛ لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن.، ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر، فقال:{ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عَندَ الله أتقاكم} أي: إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق؛ لأن

يكون أكرم ممن لم يتلبس بها، وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرماً ، ولا يثبت شرفاً ، ولا يقتضي فضلاً"(الشوكاني) 1414هـ، 79/5).

وفي خطبة الوداع تقرير لهذا المعنى" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ "(الطبراني)، المعجم الأوسط،باب العين).

الأساس الثاني – وحدة الأصل:الناس كل الناس خُلقوا على فطرة واحدة، وهذا ما يبينه القرآن الكريم:" ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الروم ٣٠).

لكن انحرفت بهم عوامل البيئة والتنشئة، وفي الحديث:عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}(البخاري، كِتَاب الْقَدَرِ، مسلم، كِتَاب الْقَدَرِ).

كما أنهم متفقون في أصلهم الغريزي، فالغريزة الإنسانية لا تختلف من شخصٍ لآخر، فالميول البشرية واحدة، والارتكان إلى زينة الحياة ومباهجها في غريزة كل الناس، قال تعالى:" ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ (آل عمران ١٤).

كما أن كل البشر لديهم الاستعداد للخير والشر، والصلاح والفساد:"﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾"البلد ١٠"، وقال سبحانه:"﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا،فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا، قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا، وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾،(الشمس،7، 8، 9، 10).

الأساس الثالث – وحدة المصير الإنساني:فالناس خُلِقُوا لغاية واحدة، وهي عبادة الله، وتعمير الأرض، فالله سبحانه استخلفهم فيها، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾،(الذاريات ٥٦)، هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ (هود ٦١).

الأساس الرابع – التعاون الإنساني: أقر الإسلام الوحدة الإنسانية، ولا يمكن بحال أن تتم الوحدة الإنسانية إلا بالتعاون بين الناس جميعا على اختلاف مشاربهم وألوانهم وأجناسهم، فالاختلاف سنة الحياة، ولذا دعا الإسلام إلى التعاون بوضوح، قال تعالى:" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات ١٣).

وقال عز وجل:"﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ...﴾ (المائدة ٢).
فالتعاون الذي دعا إليه الإسلام تعاون شامل عام، لا يعرف الاختلاف في النوع أو اللغة أو العرق، أو الدين، فالتعاون بين الإنسانية جمعاء، وفي الحديث:" عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم يَقُولُ:...لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا قَالُوا: كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ رَحْمَةُ أَحَدِكُمْ أَصْحَابَهُ وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامَّةِ.(المستدرك على الصحيحين)، 1990م، كتاب البر والصلة).

فالتعاون الإنساني ضرووري لا سيما بين أبناء الوطن الواحد، مهما اختلفت المشارب والأهداف، فالتعاون في هذه الحالة تقتضيه الظروف التي لا يستطيع أحد أن ينفك عنها، فأبناء الوطن الواحد ينعمون بخيرات بلدهم، ويتشاركون في كل شيء، هذه الشراكة تحثهم حثا على التعاون والتواصل. وبالنظر في السيرة النبوية العطرة نجد أن الرسولَ-صلى الله عليه وسلم-أسس دولته على هذا المبدأ الهام، ولذا نصت وثيقة المدينة على هذا الأمر بين اليهود والمسلمين" وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ، وَمَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ،...وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ،...عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّ بَيْنَكُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالنَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ جَوْفُهَا حَرَمٌ لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوِ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ وَإِلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوُا الْيَهُودَ إِلَى صُلْحِ حَلِيفٍ لَهُمْ بِالْأُسْوَةِ فَأَنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ.(الأموال) لابن زنجويه، 1986م، 2/ 469).

فالتعاون القائم على أساس المواطنة الكاملة كان هو الأساس لقيام دولة الإسلام في بواكيرها زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-فالمواطنة لا تتحقق إلا بتعاون إنساني كامل، وصلة إنسانية وثيقة.
الأساس الخامس - الكرامة الإنسانية وارتباطها بالمواطنة:الكرامة الإنسانية في المفهوم الإسلامي تتسم بالعموم والشمول، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم " وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ..."، فالتكريم هنا لكل البشر، وليس لجماعة أو أمة من الناس دون الأخرى، فالتكريم مطلق المعنى، يشمل كل

البشر في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، ويمتد مع الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(التويجري،1998م ،صـ126).

فالكرامة التي قررها الإسلام لبني البشر ليست كرامة مفردة، وإنما كرامة مثلثة:كرامة هي عصمة وحماية، وكرامة هي عزة وسيادة، وكرامة هي استحقاق وجدارة...كرامة يشغلها الإنسان من طبيعته" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ "(الإسراء:70)، وكرامة تتغذى من عقيدته، " وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..."(المنافقون:8)، وكرامة يستحقها ويستوجبها بعمله وسيرته" وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ"(الأحقاف:19)، وأعم هذه الكرامات وأقدمها وأدومها، تلك الكرامة الأولى، كرامة ينالها الفرد منذ ولادته، بل منذ أن كان جنينا في بطن أمه، كرامة هي منحة من السماء، لم يقدم لها ثمنا ماديا كان أو معنويًا، ولكنها منحة وعطية من السماء التي منحته فطرته السوية، وجعلت كرامته وإنسانيته صنوين مقترنين في شريعة السماء، وحقيقة الكرامة الإنسانية أنها سياج من الحصانة والصيانة، وظل ظليل ينشره الإسلام على كل فرد من أفراد البشر، ذكرا كان أو أنثى، أبيض أو أسود، ضعيف أو قويا، فقيرا أو غنيا، من أي ملة أو نحلة، ظل ظليل ينشره قانون الإسلام على كل فرد يصون به دمه من أن يسفك، وعرضه أن ينتهك، وماله أن يغتصب، ومسكنه أن يقتحم، ونسبه أن يبدل، ووطنه أن يخرج منه أو يزاحم عليه، وضميره أن يتحكم فيه قسرا، وتعطل حريته خداعًا ومكرًا، فكل إنسان في الإسلام له قدسية الإنسان، إنه في حمى محمي، وفي حرم محرم، ولا يزال كذلك حتى ينتهك هو حرمة نفسه، وينزع بيده هذا الستر المضروب عليه، بارتكاب جريمته لا يفقد حماية القانون كلها، لأن جنايته ستقدر بقدرها، ولأن عقوبته لن تجاوز حدها، فإن نزعت عنه الحجاب الذي مزقه هو، فلن تنزع عنه الحجب الأخرى.

بهذه الكرامة يحمي الإسلام أعداءه، كما يحمي أبناءه، إنه يحمي أعداءه في حياتهم ويحميهم بعد موتهم، يحميهم في حياتهم، فيحول دون قتالهم إلا إذا بدءوا بالعدوان، ويحميهم في ميدان القتال نفسه، إذ يؤمنهم من الغدر والسلب والغدر والاحتيال، ثم يحميهم بعد بعد موتهم، إذ يحرم أجسادهم على كل تشويه أو تمثيل، ولم لا؟ أليسوا أناسا؟ فلهم إذا كرامة الإنسان، هذه الكرامة التي كرم الله بها الإنسانية في كل فرد من أفرادها، هي الأساس الذي تقوم عليها العلاقات بين بني آدم. (دراز)، 1994م، صـ33، 34).

فالكرامة الإنسانية في الإسلام تعم البشر جميعًا، فلا تفرق بين إنسان وآخر، وليس لأحد أن يدعي أنه أعلى قدرًا أو أرفع منزلة من الآخر، كما لا يجوز له أن يخامره شك في أنه أقل منزلة وشأنا من غيره.

والتعدي على هذه الكرامة اعتداء خطير وجرم كبير في نظر الإسلام، فقد جعل القرآن الاعتداء على كرامة الغير كأنه اعتداء على البشرية جمعاء، قال تعالى مقررًا هذه الحقيقة:" ﴿... أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ...﴾ (المائدة ٣٢).

كما أنه ليس للإنسان أن يتعدى على كرامة نفسه ويتهاون فيها، فهذا من الظلم الذي يؤاخذ الإنسان ويحاسب عليه، وقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء القوم الذين فرطوا في كرامتهم وأهدروها:" ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (النساء ٩٧).

فسبيل المواطنة الصالحة هو الكرامة التي لا تعرف التفرقة والاختلاف، وهي الطريق ليعرف الإنسان حقوق غيره ويقدرها بصرف النظر عن الاختلاف بينهم في العقيدة أو اللون أو الجنس.

وقد ضرب لنا النبي الأكرم–صلى الله عليه وسلم– مثلا رائعا في تكريم النفس الإنسانية رغم اختلاف العقيدة، فقد مرت به جنازة يهودي فقام، وقال حين اندهش الناس من قيامه–صلى الله عليه وسلم– أَلَيْسَتْ نَفْسًا"(البخاري، كِتَاب الْجَنَائِزِ، مسلم، كِتَاب الْجَنَائِزِ).

فهذا الصنيع منه–صلى الله عليه وسلم–مع نفس ميتة، فما بالنا كيف كان صنيعه مع الأحياء، فالنظرة الإسلامية لا تفرق على أرض الوطن بين مسلم وغير مسلم، فالكل له حقوقه وواجباته، وكرامة كلاهما مصانة ومحفوظة.

الأساس الخامس– الاختلاف بين البشر سنة حتمية:هذا الاختلاف في الشرائع والمناهج"﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة ٤٨)، وفي الأجناس،"﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ ﴾ (آل عمران) وفي القوميات واللغات، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ (الروم ٢٢)، وفي الشعوب والقبائل، :" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ

...﴾ (الحجرات ١٣)، هذا الاختلاف في منظور الإسلام مصدر قوة وتكامل بين البشر، ولا يقبل بحالٍ أن يكون طريقًا للنزاع والفرقة، بل الإنسان في أصل تكوينه نتاج التقاء مختلفين:الذكر والأنثى، ولذا وجب أن يكون كل اختلاف مصدرا من مصادر القوة والإثراء، وتحقيق المصالح.، يا أيها الناس، يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً ، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً، يا أيها الناس، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم .. من ذكر وأنثى .. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون أوالجنس أواللغة أوالوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس:{ إن أكرمكم عند الله أتقاكم }(الظلال، 1412 هـ، 3348/6).

يقول الإمام الشيخ:محمد رشيد رضا:" الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ مَشِيئَتِهِ – تَعَالَى – فِيهِمْ، خَلَقَهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلِاخْتِلَافِ وَالتَّفَرُّقِ فِي عُلُومِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ وَآرَائِهِمْ وَشُعُورِهِمْ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ إِرَادَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ الدِّينُ وَالْإِيمَانُ وَالطَّاعَةُ وَالْعِصْيَانُ، وَحِكْمَتُهُ أَنْ يَكُونُوا مَظْهَرًا لِأَسْرَارِ خَلْقِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَرْوَاحِ وَسُنَنِهِ فِي الْأَحْيَاءِ، وَتَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ بِخَلْقِ جَمِيعِ الْمُمَكِّنَاتِ،... الِاخْتِلَافُ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ، وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَنَافِعِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَا لَا تَظْهَرُ مَزَايَا نَوْعِهِمْ بِدُونِهِ"(المنار،1990م ،160/12، 183).

والإسلام أقر حرية الاختلاف في أبعد تصور، فللمختلف الحرية في اختيار الدين والشريعة التي يرتضيها، ويحاسبه الله على ذلك في الآخرة، قال تعالى:" ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ...﴾ (الكهف ٢٩).

وقال عز وجل:" ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٦٤).

بل لم يقف الأمر عند هذا الحد، فوضع القرآن الكريم منهجية التعامل مع المخالف، فقال سبحانه:" ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة ٨).

وهذا الإقرار لحرية الاختلاف لم يكن مبادىء نظرية ونصوص، بل تحول إلى واقع ملموس على أرض الواقع؛ فضم العالم الإسلامي على امتداد رقعته الجغرافية عددًا كبيرًا من الأعراق والجنسيات، والمعتقدات، واللغات، ولم يمنع هذا الاختلاف من التفاعل والانسجام، والمساهمة في صنع الحضارة الإسلامية في شتى مناحي الحياة، في العلوم والفنون، والنظم والمؤسسات(بسطامي سعيد)،1426هـ، ص9).

الأساس السادس – المساواة بين الناس جميعًا:ويقصد بها تشابه المكانة الاجتماعية والحقوقية، والمسئوليات، والفرص للناس في المجتمع على النحو الذي تقوم فيه الحياة المماثلة فيما بينهم(محمد عمارة،2022م ، ص111).

والمساواة مبدأ أصيل في الشريعة الإسلامية، وسبق به الإسلام التشريعات الأخرى منذ زمن بعيد، فالناس جميعًا متساوون في طبيعتهم البشرية، ولا تفضل جماعة على أخرى بسبب عنصرها الإنساني، أو أن أصلها سلالة معينة، فالتفاوت في الإسلام أساسه التقوى، قال تعالى:" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات ١٣).

فأصل النشأة بين البشر جميعا واحد، ولا يوجد استثناءات على هذه القاعدة (المساواة)، فالناس كلهم أبيضهم وأسودهم، مسلمهم وغير مسلمهم، وغنيهم وفقيرهم، الجميع أمام الله سواء والكل يحاسب على عمله:" ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ (الشعراء ٨٨).

فالناس كلهم سواسية أمام القانون، وليس لأحد مهما كانت مكانته الاجتماعية أن يخرق هذه المساواة، فالحاكم والمحكوم متساوون أمام القانون، وليس في الإسلام بوجه عام مكانة مميزة لطائفة أو جماعة، فالامتياز يالتقوى والعمل الصالح، كما أنه لا تفرقة بسبب الأصل أو اللون أو الجنس أو الثروة(خلاف)، السياسة الشرعية، د-ت،ص40).

فلا محاباة لأحدٍ على حساب الآخر في الإسلام، ولا تمييز لشخص على آخر بسبب جنسه أو لونه أو دينه أو منصبه، فالمساواة شاملة بين كل الناس، حاكما كان أو محكوما، رجلا أو امرأة، مسلما أو غير مسلم، ويشهد لذلك الحديث الشريف:" عَنْ عَائِشَةَ، أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قال: ... إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(البخاري، كتاب الحدود، ومسلم، كتاب الحدود).

فالإسلام لا يعرف العنصرية بسبب اللون أو الجنس أو الدين، هذه العنصرية التي عانت منها أمم في الماضي، وما زالت تعاني منها أمم وشعوب في الوقت الحاضر، وإنما كانت الحضارة الإسلامية حضارة راقية وما زالت حضارة إنسانية تنظر للناس جميعا بمنظار الحق والخير، ولا تتلون الحقائق في نظرها، فالبياض والسواد هو بياض الأعمال وسوادها، ولا أثر له على التعامل مع الناس:"﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ، وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة 7، 8).(السباعي)، 1998م، صـ57).

فالحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين متساوية في نظر الإسلام، فالذمي له ما للمسلم من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات، إلا ما تعلق منها بشؤون الدين، فاحترام عقائد الآخرين مبدأ ثابت في الإسلام، وقد حذر الإسلام على لسان نبيه–صلى الله عليه وسلم – من سوء معاملة غير المسلم وتضييع حقوقه، وبين عاقبة ذلك، ففي الحديث:" « أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا وَانْتَقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(أبو داود،ك الخراج).

فمبدأ المساواة بين كل الناس من الأسس المهمة في ترسيخ مفهوم المواطنة، فالمساواة مقوم أساسي للنظام العام الإسلامي، يحظر الخروج عليها أو المساس بها بأي شكل من الأشكال، وهو مبدأ يرقى على مختلف الحقوق والحريات الإنسانية الأخرى.

وحقيقة الأمر أن الإسلام هو الذي أنشأ المواطنة، وشريعة الإسلام هي التي قررت وقننت حقوق المواطنة، وبذلك ضمنت القداسة لهذه الحقوق، حتى لا تكون منحة يسمح بها حاكم ويمنعها آخر، فالضامن لكامل حقوق المواطنة هي المرجعية الإسلامية والشريعة الإلهية؛ ولذا نص دستور دولة الإسلام(دولة المدينة) على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم –" على أنه ما كان من أهل هذه الصحيفة(الدستور) من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، فإذا كانت حقوق المواطنة في النموذج الحضاري الغربي(الأوروبي) وقفت عند الإنسان الغربي دون سواه، بل إن الثورة الفرنسية قد حرمت النساء والأولاد وفاقدي العقل، والمحكوم عليهم بعقوبات بدنية من حقوق المواطنة، فإن الإسلام قد قدس كل حقوق المواطنة لكل بني آدم، بفضل التكريم الإلهي(وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ..)(الإسراء،70)، ... صنع الإسلام هذا منذ قبل أربعة عشر قرنا"(عمارة)،المرجعية الدينية لحقوق المواطنة، 2014م).

ولك أن تقارن بين هذا الجمال الذي قدمه الإسلام وما عند الآخرين، فالمواطنة عند الأمم الأخرى متغيرة من مرحلة لأخرى، فما كان عند الأوروبيين قبل الثورة الفرنسية يختلف عما كان بعدها، بل يختلف عن المفهوم المعاصر الآن للمواطنة.

فالمواطنة عند جان جاك روسو وهو من أعمدة الثقافة الفرنسية تقوم على دعامتين أساسيتين: المشاركة السياسية الإيجابية، والمساواة بين المواطنين(تطور النظريات والمذاهب السياسية،2006م، صـ214).

وفي القرن العشرين بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، صعدت الديكتاتوريات والحكم الفاشي في أوروبا، وانتكست الحقوق، لكن بعد سقوط الديكتاتوريات عادت بقوة فكرة المواطنة، وأُلِف حولها الكثير من المؤلفات، وحظيت المواطنة باهتمام كبير، وارتكزت على المساواة والعدالة والمسؤولية والحقوق والواجبات، والتعددية والحرية.

النتائج

نستخلص النتائج التالية من البحث:

-قيمة الإسلام ومكانته في الإسلام، قيمة رفيعة للإنسان أي إنسان، بصرف النظر عن لونه وموقعه، وانتمائه الديني.

-مفهوم المواطنة كقضية تتعلق بالجانب الإنساني ليست وافدة علينا كمسلمين، وإنما قضية مستمدة من أصول شريعتنا، ومستندة إلى عقيدتنا.

-المواطنة لكل من يعيش تحت ظلال الإسلام ليست مفاهيم نظرية، منبتة الصلة عن أرض الواقع، وإنما هي حقيقة راسخة طُبِقَت على أرض الواقع تحت راية الإسلام.

-الانتماء للوطن اهتم به الإسلام اهتماما كبيرا، وجعل الدفاع عنه من الواجبات الشرعية.

-المواطن في الإسلام أيا كان دينه أو عقيدته له حقوق وعليه واجبات، حقوق له أن يستوفيها، وواجبات عليه أن يؤديها.

-فكرة المواطنة في نظر الإسلام تقوم على أساس الوحدة الإنسانية بين البشر جميعا، لا التفات للون أو جنس أو دين، فالتكريم للإنسان كإنسان، لا يجوز بحالٍ التقليل من شأنه، أو إذلاله بسبب اختلاف اللون أو الجنس أو الدين.

- السماحة الإسلامية مع الآخر المغاير في الدين، قل أن تجد لها نظيرا في المجتمعات والشرائع الأخرى؛ ويشهد لذلك وقائع وأحداث التاريخ.

هذا وبالله التوفيق والسداد

د/سعد المغازي عبدالمعطي محمود

كلية الشريعة – جامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج،ماليزيا

1445هـ – 2023م

قائمة بأهم المراجع(2)

- أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)،(1421 هـ)، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الطبعةالأولى، مؤسسة الرسالة.

- إبراهيم العناني المساواة(2001م)- وعد التمييز في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ،الندوة العلمية حول حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، أكاديمية نايف، الرياض.

- بسطامي سعيد(1426هـ)، رؤية إسلامية لمشكلة التعددية: ،مجلة البيان، العدد(216)، لندن.

- أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ،(1430 هـ)، السنن، ت: شعَيب الأرنؤوط،دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى.

-الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411 -1990م.

- دراز:محمد عبدالله دراز(1994م)، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، الطبعة الرابعة، دار القلم، الكويت.

- رشيد رضا:(1990م)،تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)،(1414هـ)، فتح القدير،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى.

- عبدالوهاب خلاف(د-ت)السياسة الشرعية، دار الأنصار، القاهرة.

- عبد الله المطلق ، الموسى محمد بن إبراهيم (2011)، الفقه الميسر، (الطبعة 1)، الرياض،مدار الوطن للنشر.

- عبدالعزيز التويجري(1998م)، الحوار من أجل التعايش، الطبعة الأولى،دار الشروق، القاهرة.

- بن قتيبة: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه(ت: 251هـ)،(1406هـ-1986م)، الأموال، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى.

(2).رُتِبت المصادر أبجديا عل اسم المؤلف، بعد تجريد الاسم من(ال، ابن).

- محمد عمارة(2022م)،معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: نهضة مصر.
- محمد عمارة (25 من أبريل، 2014م)المرجعية الدينية لحقوق المواطنة وواجباتها، جريدة الأهرام القاهرية.
- مصطفي السباعي(1998م)، من روائع حضارتنا، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة.
- محمد نصر مهنا(2006م)، تطور النظريات والمذاهب السياسية، دار الفجر للنشر، القاهرة.
-ياسر قنصوة(2008م)،الليبرالية، إشكالية مفهوم، مرايا الكتاب، القاهرة.